# ١٤- أميرة النور

# (الأميرة فاطمة إسماعيل)

الجامعة المصرية أو جامعة القاهرة الآن ، هذا الصرح الضخم لم يكن مولده العلمي و الأدبي على يد عالم أو أديب أو سياسي ، لكنه ولد علي يد أميرة لم تبخل بالغالي و النفيس علي هذا المشروع ، و برغم ذلك منعتها التقاليد السائدة في ذلك الوقت أن تشهد لحظة ميلاد مشروعها العظيم ، إنها الأميرة فاطمة إسماعيل ..

استعارت من القصور أنوارها فقررت أن تمارس هواية تنوير العقول ، تعلمت الأميرة فاطمة إسماعيل في المدارس التي أنشأها والدها الخديو إسماعيل ، الذي أطلق عليه (أبو التعليم في مصر ) ففي عهده أنشئت أول مدرسة للبنات عام ١٨٧٣ ، كما أنشئ أول مدرج للمحاضرات العامة عام ١٨٧١

في ظل هذه النهضة التعليمية أدركت الأميرة فاطمة أن نهضة أي مجتمع تقاس بحيوية عقول أبنائه ، لذلك

لم تبخل بالمال و الأرض و المجوهرات في سبيل تحقيق حلمها ، حلم إنشاء الجامعة المصرية ، وقد كان لدى الأميرة فاطمة ثروة ضخمة منها ما ورثته عن والدتها ، و منها ما تركه لها زوجها الأمير طوسون بن سعيد باشا بعد وفاته .

كانت فكرة إنشاء جامعة مصرية فكرة تحمس لها المثقفون و تبناها الزعيم مصطفى كامل ، وكان للأميرة فاطمة الصوت الأعلى في إنشاء الجامعة المصرية وهي جامعة القاهرة حاليا ، وكان لها الفضل في اختيار مكانها بعد أن ظلت حائرة ، فمن مجلس الشوري إلى قصر جناكليس ( مكان الجامعة الأمريكية الآن ) ، إلى سراي محمد صدقي في ميدان الأزهار ، بعدها اتخذت الجامعة مقرًا لها بقصر الزعفران في العباسية ، وأخيرًا استقرت حيث أرادت الأميرة فاطمة في هذا المكان بالجيزة الذي اشتراه الخديو إسماعيل من ورثة عمه سعيد باشا ، و كان قصرًا حوله مساحة من الأراضي تبلغ ثلاثين فدانًا .

كان اول هدف للأميرة فاطمة أن يكون للجامعة مكان ثابت ، فوهبت لها ستة فدادين بجوار قصرها في بولاق الدكرور ، و جمعت كل حليها و مجوهراتها من ذهب و ماس و زمرد و ياقوت ، و سلمت كل ذلك لإدارة الجامعة لتتصرف فيه على وجه السرعة لبدء بناء الجامعة .

كتب الصحفي جورجي زيدان صاحب مؤسسة دار الهلال العريقة :( إن الأميرة فاطمة أعطت للجامعة مجوهرات قدرتها بثمانية عشر ألف جنيه ، ولم تكتف بذلك بل وقفت على الجامعة المصرية ٦٧٤ فدانًا في الدقهلية من أجود الأراضي ، و بذلك تبلغ قيمة ما تبرعت به نحو أكثر من مائة ألف جنيه ، فمنحت الجامعة المكان و الأمان من خلال إيراد مستمر ) .

عندما شاهد أهل الخير ما فعلته الأميرة فاطمة إسماعيل سارعوا بالتبرع و تنافسوا في منح الهبات حتى صار للجامعة رصيد هائل في وقت محدود ، وقد تم الاحتفال بوضع حجر الأساس للجامعة في الأرض التي تبرعت بها الأميرة فاطمة يوم ٣٠ مارس ١٩١٤ م ، ووضع الخديو عباس حلمي الثاني حجر الأساس الذي كتب عليه (الجامعة المصرية – الأميرة فاطمة بنت إسماعيل ١٣٣٢ هجرية )

و أودع الحجر و معه أصناف العملة المصرية و مجموعة من الصحف التي صدرت في يوم الاحتفال و نسخة من محضر وضع حجر الأساس الذي وقع عليه الخديو و الأميرة و كما كانت الأميرة فاطمة هي شرارة البداية في انطلاق الجامعة ، كانت أيضًا شرارة البداية في انطلاق مظهر من أهم مظاهر شهر رمضان وهو مدفع الإفطار .

هنـاك قصـة طريفـة تقـول : إنـه في عهـد الخديـو إسماعيـل كان بعـض الجنـود يقومـون بتنظيـف أحـد المدافع الحربيـة تمهيـدًا لتجربتـه ، فانطلقـت منـه قذيفـة دوت في سمـاء المحروسـة و تصـادف أن كان ذلـك وقـت آذان المغرب في أحـد أيـام شـهر رمضـان فظـن النـاس أن الحكومـة اتبعت تقليـدًا جديـدًا للإعـلان عـن موعـد الإفطـار ، علمـت الأميرة فاطمـة بمـا حـدث فأعجبتهـا الفكـرة ، وأصـدرت فرمانًـا يفيـد باسـتخدام هـذا المدفـع عنـد الإفطـار و الإمسـاك ، بالإضافـة للأعيـاد الرسميـة ، و بالفعـل بـدأت الحكومـة في تنفيـذ هـذا الأمـر و صـار تقليـدًا متبعًـا حتـى الآن ، و أصبـح مدفـع الإفطـار منـذ ذلـك الحـين يطلـق عليـه اسـم:

(مدفـع الحاجـة فاطمـة ) ، و مـع مـرور الزمـن تـوارت الحكايـة في طي النسـيان و بقي الاسـم يذكـر الناس بالحاجة فاطمـة أو الأميرة فاطمـة الـتي لم يكـن بالكثـير عليهـا أن ينظـم أمـير الشـعراء أحمـد شـوقي قصيـدة في رثائهـا قائلًا :

مـن ذا يؤسـي هذه الجـامعة المستعبرة
لو عشت شدت مثلها للمـرأة المتحـــررة
قرنت كـــل حجـــر في أسهـــا بجوهرة
بذيت ركنـيها كمـــا يبني أبـوك الماثرة .